القصيدة الثالثة

المباركة الطيبة في نعت رسول الله ﷺ

بِكَ الحولُ يا قيومُ يا منبعَ الهدى فوفِّقْ لي أن أثني عليك وأحمدا
تتوب على عبد يتوب تندُّمًا وتنجي غريقًا في الضلالة مُفسدا
كبير المعاصي عند عفوك تافهٌ فما لك في عبدٍ أَلَمَّ تردُّدا
تحيط بكنهِ الكائنات وسِرِّها وتعلم منهاج السِّوى ومُحَرَّدا
ونحن عبادك يا إلهي وملجئي نخرّ أمامك خشيةً وتعبُّدا
وما كان أن يخفى عليك نُحاسُنا وتعلم ألوان النحاس وعَسْجَدا
وكم مِن دَهِيٍّ أهلكتهم من شرورهم وأخذتَهم وكسرتَ دَأْيًا مُنضَّدا
وكم مِن حقير في عيونٍ جعلتَهم بأعينِ خَلقٍ لؤلوءا وزَبرجَدا
وتعمُر أطلالا بفضلٍ ورحمة وتَهُدّ مِن قهرٍ منيفًا مُمَرَّدا
وما كان مِثلُك قدرةً وترحمًا ومثلُك ربي ما أرى متفردا
فسبحان مَن خلَق الخلائق كلها وجعل كشيء واحد متبددا
غيورٌ يُبيد المجرمين بسخطه غفور ينجّي التائبين من الردى
فلا تأْمَنَنْ مِن سخطه عند رحمه ولا تيئسَنْ من رُحمه إن تَشدَّدا
وإن شاء يبلو بالشدائد خَلْقَه وإن شاء يُعطيهم طريفًا ومُتْلَدا
وحيدٌ فريد لا شريكَ لذاته قويٌّ عليٌّ في الكمال توحَّدَا
ومن جاءه طوعا وصدقا فقد نجا وأُدْخلَ وِرْدًا بعد ما كان مُلْبَدا
له الملك والملكوت والمجد كله وكلٌّ له ما لاح أو راح أو غدا

ومن قال إن له إلها قادرا سواه فقد تبع الضلالة واعتدى
هدى العالمين وأنزل الكتب رحمةً وأرسل رسلا بعد رسل وأكّدا
وأنت إلهي مأمني ومفازتي وما لي سواك معاونٌ يدفع العدا
عليك توكلنا وأنت ملاذنا وقد مسَّنا ضُرٌّ وجئناك للندى
ولك آيات في عباد حمدتَهم ولا سيّما عبدٌ تسمّيه أحمدا ص
له في عبادة ربه غَلْيُ مِرجَلٍ وفاقَ قلوب العالمين تعبُّدا
ومِن وجهه جَلَّى بعيدًا وأقربَا وأصاب وابلُه تِلاعًا وجَدْجَدا
له آيتا موسى وروحُ ابنِ مريمٍ وعرفانُ إبراهيمَ دينًا ومَرْصَدا
وكان الحجاز وما سواه كميّتٍ شفيع الورى أحيا وأدنى المبَعَّدا
وكان مُكاوَحةٌ وفسقٌ شعارَهم يُباهُون مِرِّيخِين في سبل الردى
فلم يبق منهم كافر إلا الذي أصرَّ بشِقْوته على ما تعوَّدا
شريعته الغرّاء مَورٌ معبَّدٌ غيورٌ فأحرقَ كلَّ دَيْر وجَلْسَدا
وأتى بصحف الله لا شك أنها كتاب كريم يرفِد المسترفِدا
فمن جاءه ذلا لتعظيم شأنه فيعطى له في حضرة القدس سؤددا
فيا طالبَ العرفان خُذْ ذيلَ شرعه ودَعْ كلَّ متبوع بهذا المقتدى
يزكّي قلوب الناس مِن كل ظلمة ومن جاءه صدقا فنوّره الهدى
ولما تجلّى نوره التام للورى ولَوَّحَ وجه المنكرين وسوَّدا
تراءى جمال الحق كالشمس في الضحى ولاح علينا وجهه الطلق سرمدا
وقد اصطفيتُ بمُهْجتي ذكرَ حمده وكافٍ لنا هذا المتاع تزوُّدا
وفوّضني ربي إلى فيض نوره فأصبحتُ مِن فيضان أحمد ص أحمدا

وهذا من الله الكريم المحسنِ وما كان من ألطافه مستبعَدا
ووالله هذا كله من **محمدص** ويعلم ربي أنه كان مرشدا
وفي مُهْجتي فورٌ وجيشٌ لأمدحا سُلالةَ أنوار الكريم **محمداص**
كريم السجايا أكملُ العلم والنهى شفيع البرايا منبع الفضل والهدى
تبصَّرْ خصيمي هل ترى من مشاكه بتلك الصفات الصالحات بأحمدا
بشير نذير آمرٌ مانع معًا حكيم بحكمته الجليلة يُقتدى
هدى الهائمين إلى صراطٍ مقوَّم ونوّر أفكار العقول وأيّدا
له طلعةٌ يجلو الظلامَ شعاعُها ذُكاءٌ منير بُرجُه كان بُرْجُدا
له درجات ليس فيها مشارِكٌ شفيع يزكّينا ويدني المبَعَّدا
وما هو إلا نائب الله في الورى وفاق جميعا رحمةً وتودُّدا
تخيَّرَه الرحمن من بين خلقه وأعطاه ما لم يُعْطَ أحد من الندى
وقد كان وجه الأرض وجهًا مسوَّدا فصار به نورًا منيرا وأغيَدا
وأرسله الباري بآيات فضله إلى حزبِ قوم كان لُدًّا ومفسِدا
ومُلْكٍ تأبَّطَ كلَّ شرٍّ قومُه وكلٌّ تلا بغيًا إذا راح أو غدا
بِلُوبَةَ مكةَ ذاتِ حقْفٍ عَقَنْقَلٍ بلادٌ ترى فيها صفيحا مُصَمَّدا
وما كان فيها من زروعٍ ودوحة تُرى كالظليم ثراه أزعَر أربَدا
تكنَّفَ عَقْوةَ داره ذاتَ ليلة جماعةُ قوم كان لُدًّا ومفسدا
فأدركه تأييدُ ربٍّ مهيمن ونجّاه عونُ الله من صولة العدا
تذكرتُ يوما فيه أُخرِجَ سيدي ففاضت دموع العين مني بمنتدى
إلى الآن أنوارٌ ببُرقَةِ يثرِبَ نشاهد فيها كل يوم تجدُّدا

فوجهُ المدينة صار منه منوّرا وبارِكَ حُرَّ الرمل وَطئًا وقَردَدا
حفافَي جناني نُوِّرا مِن ضيائه فأصبحتُ ذا فهم سليم وذا الهدى
وأرسلني ربي لتأييد دينه فجئتُ لهذا القرن عبدا مجدِّدا
له صُحْبَةٌ كانوا مجانينَ حُبِّه وجعلوا ثرى قدميه للعين إثْمَدا
وأرَوا نشاطا عند كل مصيبة كعَوْجاءَ مِرقالٍ تُواري تَخدُّدا
وإذا مُرَبِّينا أهابَ بغنمه فراعُوا إلى صوت المُهيب تودُّدا
وكان وصال الحق في نيّاتهم وخطراتهم فلأجله مَدُّوا اليدا
ورأوا حياة نفوسهم في موتهم فجاءوا بميدان القتال تجلُّدا
وجاشت إليهم من كروبٍ نفوسُهم وأنذرَهم قوم شقيٌّ تهدُّدا
فظلوا ينادون المنايا بصدقهم وما كان منهم مَن أبى أو تردَّدا
وفاضت لتطهير الأناس دماؤهم من الصدق حتى آثر الخَلقُ مَرصَدا
وأحيَوا لياليهم مخافةَ ربهم وأذابهم يومٌ يُشيِّب ثَوهَدا
تَناهَوا عن الأهواء خوفا وخشية وباتوا لمولاهم قِياما وسُجّدا
تلقَّوا علوما من كتاب مقدس حكيم فصافاهم كريم ذو الندى
كنوقٍ كرائمَ ذاتِ خُصْلٍ تجلَّدوا وتربَّعوا كلاءَ الأسرَّة أغيَدا
أتعرفُ قوما كانَ ميتًا كمثلهم نَؤومًا كأموات جَهولا يَلَنْدَدا
فأيقظَهم هذا النبي فأصبحوا منيرين محسودين في العلم والهدى
وجاءوا ونورٌ من وراءٍ يسوقهم إليه ونورٌ من أمامٍ مُقوِّدا
ولو كُشف باطنهم نرى في قلوبهم يقينًا كطبقات السماءِ مُنضَّدا
تداركَهم لطفُ الإله تفضلا وزكّى بروح منه فضلاً وأيّدا

ففاقوا بفضل الله خَلْقَ زمانهم بعلم وإيمان ونور وبالهدى
وهذا من النور الذي هو أحمدُص فدًى لك روحي يا محمدص سرمَدا
أُمرتَ من الله الذي كان مرشدا فأحرقتَ بدعات وقوَّمْتَ مَرْصَدا
وجئتَ لتنجية الأنام من الهوى فواهًا لمُنْجٍ خلّص الخَلق من رَدَى
وتورَّمَتْ قدماك لله قائما ومثلك رجلا ما سمعنا تعبُّدا
جذبتَ إلى الدين القويم بقوة وما ضاعت الدنيا إذا الدين شُيِّدا
وأرسلَك الباري بآيات فضله لكي تُنقذ الإسلام من فتن العِدا
يحبّ جناني كلَّ أرض وطِئْتَها فيا ليت لي كانت بلادك مولدا
وأكفَرَني قومي فجئتك لاهفًا وكيف يُكفَّرُ مَن يوالي محمداص
عجبتُ لشيخ في البطالة مفسد أضلّ كثيرا بالشرور وبَعَّدا
سَلُوه يمينًا هل أتاني مباهلاً وقد وعَد جزمًا ثم نكث تعمُّدا
فخُذْ يا إلهي مثلَ هذا المكذِّبِ كأَخْذك مَن عادى وليًّا وشدّدا
أضلَّ كثيرا من صراط منوّرٍ تباعدَ من حق صريح وأبعدا
قد اختار من جهل رضاءً خلائقٍ وكان رضى الباري أهمَّ وأَوْكَدا
وما كان لي بغضٌ وربّيَ شاهدٌ وفي الله عادَيناه إذ حال مَرصَدا
يسبّ وما أدري على ما يسبّني أيُلعَن مَن أحيا صلاحا وجدَّدا
نعَمْ نشهدَنْ أن ابنَ مريم ميّتٌ أهذا مقال يجعل البَرَّ مُلحدا؟
وهل من دلائلَ عندكم تُؤثِروها فإن كان فأْتوني بتلك تَجلُّدا
أنحنُ نخالف سبلَ دينِ نبينا؟ وقد ضل سعيًا مَن قَلَى دينَ أحمدا
سيُكشَف سِرُّ صدورنا وصدوركم بيومٍ يسوّد وجهَ مَن كان مفسِدا

فمن كان يسعى اليوم في الأرض مفسدا فيُحرَق في يوم النشور مُزوَّدا
أليس تقاةُ الله فيكم كذرّةً؟ أتخشون لومةَ حَيِّكم ومُفنِّدا
وقد كان ربي قدّر الأمرَ رحمةً فَحُصْتُ بإذن الله ثوبًا مُقدَّدا
رأيتُ تغيُّظكم فلمْ آلُ حجّةً ووطّأتُ ذوقًا أَمْعَزًا متوقِّدا
ولستُ بذي علم ولكن أعانني عليم رآني مستهاما فأيّدا
ووالله إني صادق غيرُ مفترٍ وأيّدني ربي وما ضاعني سُدًى
وما قلتُ إلا ما أُمرتُ بوحيه وما كان هَجْسٌ بل سمعتُ مُنددِّا
أأكتُمُ حقًّا كالمُداجي المُخامِرِ مخافةَ قوم لا يريدون مَرصَدا
تعالى مقامي فاختفى من عيونهم وربي يرى هذا الجَنان المجرَّدا
وفي الدين أسرار وسبلٌ خفيّة يلاحظها من زاده الله في الهدى
وهذا على الإسلام أدهى مصائب يُكفَّرُ مَن جاء الأنامَ مجدِّدا
أتُكفرُ رجُلا قد أنار صلاحه؟ ومثلك جهلاً ما رأيتُ ضَفَنْدَدا
أتُكْفِر رجلا أيّد الدينَ حجّةً ودافَى رؤوس الصائلين وأرجَدا
أنحن نفرّ من الرسول ودينه؟ ويبدو لكم آياتُنا اليوم أو غدا
ووالله لولا حُبُّ وجه محمدص لما كان لي حولٌ لأمدح أحمداص
ففي ذاك آياتٌ لكلّ مكذِّب حريص على سبٍّ وألوَى كالعدا
وكم من مصائب للرسول أذوقُها وكم من تكاليف سئمتُ تودُّدا
وغمٍّ يفوق ظلامَ ليلٍ مظلم وهول كليل السَّلْخ يُبدي تَهَدُّدا
وضُرٍّ كضرب الفأس أصلتَ سيفَه وخوفٍ كأصوات الصراصر قد بدا
فأسأمُ تلك المحنَ مِن ذوق مُهْجتي وأسألُ ربي أن يزيد تشدُّدا

وموتي بسبل المصطفى خيرُ ميتةٍ فإنْ فزتُها فسأُحْشَرَنْ بالمقتدى
سأدخلُ مِن عشقي بروضةِ قبره وما تعلم هذا السرّ يا تاركَ الهدى